تاريخ الإرسال: 2012/02/18 - تاريخ القبول للنشر: 2012/04/04 تاريخ النشر: 2012/05/28

الأوضاع الاقتصادية في تنبكت [تمبكتو] في القرن 10هـ/16م

جنيدي عبد الحميد
قسم العلوم الاجتماعية
جامعة الجلفة

مقدمة

عرفت أرياف مدينة تنبكت العديد من المحاصيل الزراعية المحلية رغم الظروف المناخية القاسية ويستعين المزارعون في المدينة بمياه نهر النيجر في أوائل فصل الجفاف ليرووا ما زرعوه من الأرز والفول...الخ. وشهدت المدينة العديد من الحرف اليدوية منها النسيج والخياطة، والحدادة وصناعة الأحذية، وبالتالي وجود عدد من محلات الصناع والحرفيين.

واعتبرت مدينة تنبكت كمحطة تجارية كبرى على الضفة الجنوبية من الصحراء الكبرى تحط بها القوافل التجارية المنهكة القادمة من شمال الصحراء،هذه القوافل تعرض مختلف سلعها وبضائعها. ومعظم تجار هذه القوافل من أصول عربية وبربرية. هؤلاء التجار نشطوا الحياة الاقتصادية في مدينة تنبكت، ومع مرور الزمن اشتغل العديد من التنبوكتيين في التجارة، هؤلاء حرصوا على تنظيم تجارتهم تنظيما محكما فمنهم التجار المتجولون، ومنهم الوسطاء(السماسرة)، ...الخ، وأصبحوا يتبادلون سلعهم مع تجار المغرب الكبير، وكان هذا التبادل يتم بواسطة تبادل سلعة بسلعة مثل: تبديل الذهب بالملح. هذه التجارة نشطت بفضل الطرق والدروب التي ربطت بين مدينة تنبكت ومختلف المراكز الواقعة في الشمال الصحراوي هذه الطرق سهلت تبادل مختلف البضائع والسلع.

1ـ الفلاحة: الفلاحة في إمبراطورية سنغاي معاكسة للظروف المناخية السائدة[1]، فالمناخ جاف عموما، إلا أنه هناك فصل ممطر، يبدأ من شهر جوان وينتهي في شهر أكتوبر وكميات الأمطار التي تسقط لا تتجاوز250ملمتر/ سنويا[2]، وهذه الكميات تختلف من منطقة لأخرى فكمية الأمطار في مدينة تنبكت لا تتجاوز200ملمتر سنويا، أما قاو فالكمية تصل إلى 300ملمتر/سنويا، وتزيد كميتها في جني إذ تتراوح مابين(800ـ500)ملمتر/ سنويا أما الأمطار الشتوية فهي لا تدوم إلا شهرين، وغالبا ما يكون هناك الجفاف[3].

هناك العواصف والأعاصير، إذ يبلغ عددها في الشهر من 15 الى20 إعصارا في أشهر جوان

وجويلية وأوت وأكتوبر، وتصل درجة الحرارة إلى أكثر من +50⁰درجة. والأشهر الأكثر حرارة هي شهري ماي، وجوان والأكثر برودة هما شهرا ديسمبر وجانفي. والعواصف كلها تأتي من الشمال الشرقي ومن الجنوب الشرقي والتي تأتي من الشمال الشرقي هي أكثر قوة، وتخلف غالبا أضرارا معتبرة في المدينة، قد تؤدي إلى سقوط بعض الجدران الهشة[4].

فقسوة الطبيعة وجفاف المناخ كلها عوامل لا تساعد على قيام زراعة نشطة، إلا أن الزراعة تمثل الحرفة الرئيسية والمصدر الأساسي لعيش الغالبية العظمى من أهل البلاد وقد ساهم عدد من حكام السنغاي في طليعتهم أسكيا الحاج محمد الكبير في تطوير الإنتاج الزراعي وإدخال أساليب جديدة لاستصلاح الأراضي وتحسين الحبوب، ورفع معدلات الإنتاج مستفيدا من صلات بلاده الوثيقة بالشمال الإفريقي[5]. الأسكيا الحاج محمد حفر قناة في منطقة كابارا[6]ـ تنبكت وشجع الزراعة وأنشأ عددا كبيرا من القرى الزراعية وحشد فيها ما كان يعود به من عبيد في حروبه وخفض الضرائب على المحاصيل الزراعية[7]. وجعل غرامة في كل عام على المحاصيل الزراعية حيث كان يأمر رجلا من قومه أن يأخذ غلاتهم فمن استطاع منهم أن يعطي عشر أفتات أخذها، ومن استطاع عشرين فتا أخذها وهكذا إلى ثلاثين فتا هذه الضريبة فرضها على أتباع سني علي[8]. وزادت نشاطا في عهد الأسكيا داوود إذ بلغت أقصى ما يمكن بلوغه من نشاط[9].

أما الزراعة في تنبكت فتعتمد على مياه نهر النيجر، وقد أفاد مارمول ، أن المدينة حباها الله بنهر النيجر[10] ويفيد الرحالة الحسن الوزان، أن مياه النهر تصل المدينة بواسطة قنوات ربما كان يقصد القناة التي حفرها الحاج محمد الكبير بالإضافة إلى وجود عدة أبار مياهها عذبة[11].

أما نظام الزراعة الذي كان متبعا، فهو نظام المزارع، وهذا ما أفاد به موسى السعدي في قوله:» توفى الإمام أحمد بن الإمام صديق[12]، في مزرعة كريع، وحمل إلى تنبكت وصلى عليه صلاة الجمعة «، كان ذلك في شهر رمضان 1005هـ1596م.الأمر الذي يؤكد وجود نظام المزارع[13].

1ـ1ـ المزروعات: ومن بين المزروعات الموجودة في تنبكت ما يلي:ـ

1ـ1ـ1ـ الأرز: يزرع الأرز على نطاق واسع وهو يزرع بصورة خاصة حول النيجر وروافده لما يتطلبه من سقي وفير، ويزرع قبل وقت فيضان نهر النيجر، ويبدأ موسم الحصاد قي شهر نوفمبر وينتهي في ديسمبر[14]. وأفاد رجل عربي يدعى الحاج عبد السلام شعبيني من أهالي تطوان بالمغرب الذي زار تنبكت مع والده حوالي العام 1787م أنه رأى أن الأرز يزرع في كل وقت، فبعض الأرز كان يزرع في حين كان يجنى الأخر[15].

وهناك أنواع متعددة من الأرز: الأرز الأبيض والأسود ، و الصغير والكبير. وعموما يزرع في

الأراضي الأقل فيضانا أو بعد انسحاب الفيضان[16]، والأرز هو الغذاء الرئيسي للسكان[17].

2.2.1- الفول : يزرع في شهر مارس ثماره قصيرة الحجم،ذ ولكنها مليئة بالحبيبات وقد ينتج صغيرا ونوعا ما مسطح الحبوب[18].

2.2.3-1 التبغ : وهو من المحاصيل الأساسية يزرع في الشرق خصوصا بامبا Bamba وتستهلك المدينة أكبر جزءا والباقي يصدر إلى قرى الجنوب[19].

بالنسبة إلى الحبوب، تستهلك المدينة ما تحتاج والفائض من هذه الحبوب تخزن في مطامير Matamores يصل عمق الواحدة منها ستة(6)أقدام(1.98م) [20]. وعرفت المدينة نوع أخرمن المخازن صناعة مخازن الحبوب التي تصنع من الطين المخلوط بالتبن والملح حيث يصل ارتفاع الواحدة منها أربعة أمتار، ولا تزال هذه المخازن تستعمل إلى يومنا هذا وهذا ما أكده الباحث الهادي المبروك الدالي عند زيارته لتنبكت عام 1995م[21]. وتوجد بالمدينة مزارع تنتج البطيخ والقرع وبعض الخضروات اللفت والبصل، والطماطم[22] والجزر[23].

تنتج مدينة تنبكت العديد من المحاصيل الزراعية إلا أنها لا تكفي حاجيات السكان، لذا تلجأ إلى استراد الحبوب والخضر...ألخ، وهذا منذ القرن 6هـ/12م[24]، والرحالة الحسن الوزان الذي زار المدينة في أوائل القرن 10هـ/16م ، يرى أن نصف الأقوات كانت تأتي من كابارا[25].

2- الصناعة والحرف اليدوية: مارس أهل تنبكت الكثير من الحرف والصناعات اليدوية منها:

2.1- الخياطة والنسيج: من الحرف التي مارسها سكان تنبكت الخياطة، يؤكد المؤرخ محمود كعت على وجود26 بيتا من بيوت الخياطين[26]، وهذا الرقم لم يكن الأقل لأن الخياطة كانت أكيد بداخل المنازل من النساء الأحرار، وعبيدهم[27]، وفي كل بيت من بيوت الخياطين يوجد شيخ رئيس معلم وعنده عدد من المتعلمين نحو 50 متعلما وعند بعضهم من 70 إلى 100 متعلم [28]، هؤلاء الخياطون عادة ما يرافقون السلاطين عند خروجهم للحرب والسلم بقصد تخيط ملابس الجند، وقد رافق الخياطون بلمع الصادق، وجيشه عند خروجه لأخيه أسكيا محمد بان[29] في كاغ [30]. هؤلاء الخياطون لا يقتصر عملهم على الخياطة فقط بل عملوا على تطريز ألبسة الرجال والنساء[31] هذه الألبسة تطرز بالحرير وبها رسومات رائعة[32]، وذات مواصفات خاصة من حيث التصميم الفني واللون[33].

يقول الباحث سينكي مودي سيسوكو، أنه لا يعرف إن كان الخياطون شكلوا أولم يشكلوا تعاونية في القرن 16م في مهنة الخياطة وأيضا النساج هؤلاء النساج انتشروا في كل المدن النيجيرية، النساج يستعملون خيوط القطن، والصوف وينسجون بعدة ألوان ورسومات متنوعة[34]. ومن الصناعات التي كانت منتشرة، صناعة الزرابي التي تصنع في زمن إمبراطورية سنغاي التي تصنع من أصواف الأغنام وشعر الماعز ووبر الإبل والتي تختص

النساء دون غيرهن في ذلك، كما عرفت المنطقة صناعة الحصير التي تنسج من نبات يشبه الديس إلا أنه أقوى منه وأكثر تماسكا. وصناعة الزرابي التي يبدو أنها انتقلت من المغرب الكبير فهي معروفة في الجزائر وليبيا منذ فترة مبكرة[35].

2.2ـ الحدادة: الحدادون في تنبكت يطلق عليهم أسم ديام Diam أو قاراسا Garassa كما هو بكل السودان الغربي هؤلاء يصنعون أدوات زراعية، مثل الفؤوس والسكاكين والمطارق[36]، وحدائد الخيل والإبر ومعاول الحرث[37]، والسيوف. وكذلك أدوات التنظيف هذه الأخيرة أتقنها الصناع البربر فكانوا ماهرين في صناعة وسائل التنظيف والمصنوعة من الحطب وصنعوا مقاعد بثلاث قوائم وسروج الأفراس[38] وكذلك انتشرت صناعة الصناديق والعلب المصنوعة من الحديد الأبيض[39] وصنع وإصلاح السلاسل[40].

المؤرخ السوداني محمود كعت يذكر خمسة قبائل عملت بالحدادة هذه القبائل أخضعها أسكيا الحاج محمد الكبير من سني علي، وفرض عليهم ضريبة كل عام على كل قبيلة100 رمح و100 سهم من كل عائلة[41].

2.3ـ الإسكافيون: هؤلاء يصنعون عدة أنواع من الأحذية والوسائد والأكياس وعلب التعاويذ وأغماد السيوف...الخ، عملهم هو ابتكار في عدة أشكال رغم الوسائل البدائية التي يصنعونها والخياطون يخيطون مختلف القطع[42].

2.4ـ صناعات أخرى: ومن الصناعات المهمة في تنبكت صناعة الذهب والفضة، حيث اشتهرت صناعة الذهب وخاصة في حي الغدامسية وحومة السوق ونحوها لأن عقول سكانها راجحة في ذلك [43] ويذكر صاحب مخطوط السعادة الأبدية، أحمد بابير الأرواني ، أن أهل تنبكت أهل صنائع كالخياطة والحدادة والجزارة والدبغ، وصناعة الذهب الفضة...وغير ذلك ولهم عقول راجحة في ذلك لا يأتيهم شئ في الأكثر إلا وصنعوا مثله[44]. والرحالة الحسن الوزان يعطي صورة عن انتشار وكثرة الصناع والباعة ولاسيما حاكت القماش[45].

2.5ـ صناعة القوارب والسفن: نشطت صناعة السفن في عهد سني علي الذي شجع على صناعتها فأبدع الصناع فيها وتنوعت أحجامها فمنها القوارب الصغيرة والكبيرة، وقد استخدمها في حروبه التوسعية وخاصة في هجومه على مدينة جني كما استخدمها في السلم نقل البضائع التي لا تنقل إلا في السفن مثل:القارو[46] وقوارب الكنو[47]، وشهدت هذه الصناعة نشاطا كبيرا في زمن أسكيا الحاج محمد وخلفاءه[48].استخدم أسكيا داوود السفن في جمع المحاصيل الزراعية التي فرضت على المزارعين[49]، وازدادت صناعة السفن في فترة حكم سلاطين المغرب، وخاصة في زمن الباشا جودر فعرف ميناء كبره كابارا نشاطا للسفن التي كانت ترسو على مرفئه، وقد أستخدم أسكيا إسحاق القوارب عند فراره من الهجوم الذي قام به الباشا جودر عام 999هـ/1591م[50]. وكانت السفن تصنع من أشجار غليظة بأن تعد الإعداد الجيد وتنظف من بقية الأغصان ثم

تخاط بطريقة انسيابية ومنها تصنع القوارب الصغيرة والسفن الكبيرة، وهناك سفن يتفنن فيها الصناع من حيث الأناقة وهي التي يتنقل فيها السلطان[51].

3ـ التجارة في مدينة تنبكت:

بعد سقوط المدينة الغانية القديمة في عام 1240م اجتذبت بيرو (ولاتة حاليا) التجار وانتقلت التجارة إلي ولاتة Walata[52]، وريثة غانا، أصبحت ولاتة مرفأ ساحليا لإمبراطورية مالي تمر بها قوافل الرحالة الصحراويين المليئة بالبضائع الآتية من الشمال الإفريقي[53]. ثم برزت تنبكت كأحسن مركز عبور للمبادلات بين الشمال والجنوب[54] بعد أن كانت مجرد مخيم للشتاء قرب النيجر[55]، أو كقرية صغيرة متواضعة[56] تطورت تنبكت وأصبحت مركزا تجاريا كبيرا وعوضت ولاتة التي كانت تلعب هذا الدور. وعرفت تنيكت توافد السودانيين من كل جنس فتكونت جالية من التجار الذين طلبوا الحماية من زعماء مالي[57] ازدهارا وتطورا على يد منسي موسى وأخيه منسى سليمان بعد أن عمروها وجعلوا فيها الدكاكين والصناعات وجلبوا إليها البنائين [58]، فتحول تجار مدينة جني بقوافلهم التجارية نحو تنبكت المدينة الوليدة ،ولم يأت القرن الرابع عشر (14)م حتى تحولت تجارة المنطقة كلها تقريبا باتجاه المدينة الجديدة[59]، وهذا بعد أن كانت تحتل المرتبة الثالثة بعد ولاتا أو ولاتة وغاو[60]. وأضحت القوافل التجارية تأتي إليها مباشرة[61] وأصبحت سوقا للتجار وذوي الأموال[62]. إلا أن التجارة في هذه الحقبة كانت في يد تجار أجانب وسودانيين أكابر الذين سكنوا فيها[63].

3ـ 1ـ التجار الأجانب: التجار الأجانب كانوا من العرب والبربر هؤلاء هم الأوائل الذين بنوا مستعمرات حقيقة للتجارة وهم أكثر من مجموعة فمنهم من جاء من الساحل الغربي بالخصوص مسوفة، والبرابيش الذين يشتغلون بالتجارة ونقل الملح، أما المجموعة الثانية فهم كبار التجار القادمون من أكبر المراكز الصحراوية مثل: توات وفزان، وتافيلات[64] أما المجموعة الثانية فكانت تتكون من تجار المغرب أومن مصر وابن بطوطة في عام 1352م أعطانا بعض العلامات عن هؤلاء التجار في إمبراطورية مالي، زيارة أبن بطوطة لقبر الشاعر سراج الدين بن الكويك واحدا من أكبر تجار أهل الإسكندرية وقبره في مدينة تنبكت[65]. وذكر ابن بطوطة واحدا من أهل تلمسان يعرف بابن شيخ اللبن[66].

3ـ 2ـ التجار السودانيون: وهم من إمبراطورية غانا الآفلة، ونتيجة للتطور الاقتصادي الحاصل في تنبكت برز عدد من التجار القدماء منهم من السوننكيين المتواجدين في تنبكت وبالخصوص من الونكاريين أو الماندينغ يسمون اليوم ' ديولا '[67].

3ـ3 – السماسرة: سماسرة المدينة ودورهم يتجلى في الضيافة والوساطة هذه الأخيرة قد يشتغل فيها الأطفال وحتى النساء[68]، بين البائعين والمشترين وكانوا يجنون أرباحا طائلة وهناك عدد كبير من أهل المدينة يمتهنون هذه المهنة. وغالبية أسر تنبكت يمتلكون متاجر ومنازل يؤجرونها للتجار و يخدمون الوسطاء بينهم وبين التجار الأجانب والمستأجرون في أغلب الأحيان يشترون السلع ويقومون بتخزينها في انتظار ارتفاع الأسعار للحصول

على أرباح تصل إلى 100%[69].

3.4- البائعون المتجولون السودانيون: وهم تجار أقل ثراء ينتقلون بسلعهم من قرية إلى قرية مثلما هو الحال في وقتنا الحالي يبيعون سلعهم في الأسواق المجاورة للمدينة على غرار أسواقها، وكانوا يبيعون التوابل والحليب وقطع صغيرة من الملح والتمور والبذور، وغيرها من السلع[70].

4- الأسواق:

في الحقيقة كانت مدينة تنبكت سوقا لا حد له. والسكان كانوا يعيشون بصورة مباشرة أو غير مباشرة في التجارة، وكان بها سوق دائم إلى الشرق من منطقة جانقربير Jang ber أين يكون التقاء التجار من كل السودان، وكان كل ربع من المدينة به سوق محلي صغير وهناك متاجر مخصصة للتجار الأجانب[71]. ففي عام 1447م نجح أحد تجار مدينة جينوه الايطالية وأسمه «انطونيو مالفانت « «Antonio Malfante» في إرسال رسالة إلى أهله بايطاليا ضمنها معلومات عن الصحراء وما فيها وكانت الرسالة مرسلة من بلدة توات الواقعة بالجنوب الجزائري بعد أن تمكن بطريقة غير معروفة من مرافقة قافلة تجارية انطلقت من السواحل الشمالية للجزائر،غير أن أخبار هذا الايطالي انقطعت فجأة ولم يرسل شيئا إلى أهله منذ ذلك الوقت. بعده تمكن مواطن برتغالي يدعى «بينيتو دي «»Bendetho dei»زيارة مدينة تنبكت في عام 1470م وفيها أسس محلا تجاريا كان يبيع فيه الأقمشة المستوردة عن طريق طرابلس من -لامبارديا- بالشمال الايطالي. وفي نفس تلك الفترة كانت هناك محلات تجارية يمتلكها ايطاليين يبيعون الأقمشة[72] والستائر الإيطالية والحرير، وكانت تباع بأسعار باهظة في نهاية القرن 16م[73].

وأقام التجار في تنبكت حوانيت على الطريقة المغربية في بناء مخازن البضائع في أسفل دور السكن وقد قلدهم في ذلك الأفارقة، وقد شاهد هذه الحوانيت الرحالة الفرنسي ديبوا في القرن19م[74]. وأكد على وجود محلات مجهزة تجهيزا جيدا وبها أنواع متعددة من الأقمشة المستوردة من الهند ومانشستر[75]، فالأقمشة الإنجليزية وبالخصوص الستائر الزرقاء تستوردها تنبكت عن طريق البربر[76].

وإذا تحدثنا عن الضرائب المفروضة عن السلع نجد ما نقول، كانت هناك ضرائب ورسوم فرضت على السلع، فالسلعة الداخلة إلى المدينة من بوابة نهر النيجر والتي تعتبر مدخلا للزنوج تدفع ضرائب مقدارها 2% أما السلع التي يأتي بها التجار الأجانب فتدفع أي شئ أما السلع الداخلة من بوابة الصحراء فتدفع عليها4% على كل سلعة من السلع القيمة[77].

حكومة السنغاي لم تتدخل في المعاملات التجارية، إلا أنها اكتفت بمراقبة السير الحسن للسوق وفض الخلافات بين التجار التي قد تقع بين التجار[78]، وتجنيد مفتشي الأوزان والمقاييس[79] وتوحيدها، وهذا ما نادى به أسكيا الحاج محمد الكبير[80]، ومفتش الأوزان هو واحد من طلبة القضاة يفتش، ويراقب الأوزان[81] وإن وجدت منقوصة

يعاقب الجاني على الفور وهؤلاء المفتشون يسمون قوبو- كوي Goubo-koi[82].

5- المسالك التجارية:

1-5- المسالك البرية: يقودنا الحديث عن التجارة بتنبكت إلى الحديث عن المسالك والطرق التي تتخذها القوافل التجارية معبرا من وإلى شمال إفريقيا، ومصر. إذ تعتبر الطرق التجارية الرابطة بين السودان الغربي عامة ومدينة تنبكت خاصة ونظيراتها في بلاد شمال إفريقيا حلقة الوصل الأساسية وهذه الطرق تخترق الصحراء في جميع جوانبها أما اتجاهها فمن الشمال إلى الجنوب، والعكس، وهذا باستثناء الطريق الذي يربط مصر بالمنطقة فإن اتجاهه كان من الشرق الغرب ، وبالعكس.

و يحصي الأستاذ الدكتور عبدالقادر زبادية، ستة (6) المشهورة[73]، إلا أن مدينة تنبكت تربطها بمراكز دول الشمال الإفريقي، أربع(4) طرق رئيسية. التجار يأتون إلى تنبكت بواسطة ثلاث مسالك كبرى رابطة لثلاث اتجاهات[74]، وهذه الطرق والمسالك هي:

1-1-5- طريق فاس – سجلماسة – تغازا[75] – والاتا 'ولاتة' – تنبكت : ظهر هذا الطريق ببروز مدينة تنبكت كمحطة تجارية هامة[76]، وهو الطريق الذي وصف مرحلته الأولى فاس – سجلماسة، الجغرافي الأندلسي أبوعبيد الله البكري ينطلق من مدينة فاس باتجاه سجلماسة مرورا بمدينة صفروي، الواقعة على الضفة الغربية لوادي سبو جنوب فاس، ثم يتجه عبر موقع صغير يقال له المزي ، ثم إلى قرية تاسغمرت الواقعة على نهر سبو، ومنها إلى سجلماسة[77] ويقدر ابن حوقل طول هذه المرحلة الأولى من الطريق بثلاثة عشر (13) يوما من السير[78].

والرحالة المغربي ابن بطوطة سلك هذا الطريق منطلقا من سجلماسة إلى تغازا، ومنها إلى ولاتة(ايوالاتن) ويقدرا لمسافة بين سجلماسة إلى تغازا بخمسة وعشرين(25)يوما، ومن تغازا إلى ولاتة خمسة وثلاثون(35)يوما، ومنه المسافة من سجلماسة إلى والاتا شهران كاملان(60 يوما) ، ومن والاتة إلى تنبكت مسافة أربعة وعشرين (24) يوما مرورا بقرية زاغري[79]، ثم النهر الأعظم وهو النيل، يقصد به نهر النيجر[80].إذن المسافة بين فاس وسجلماسة 13 يوما. والمسافة بين سجلماسة إلى ولاتة 60 يوما. والمسافة بين ولاتة إلى تنبكت 24 يوما. ومنه المسافة على طول الطريق فاس – تنبكت 97 يوما.

يصف ابن بطوطة هذا الطريق عند زيارته مالي في عام 1353م. أن المنطقة الواقعة جنوب تغازا لا يوجد بها الماء إلا نادرا، وقد صادفت قافلة ابن بطوطة ماء الغدران الذي تركته الأمطار بين تغازا و تاسرهلا، والصحراء الواقعة جنوب تاسرهلا ذات ريح شديد الحرارة تجفف الأسقية زمن هناك يواصل إلى ولاتة(ايولاتن) بعد قطع مسافة 35 يوما من تغازا إلى ولاتة، وتبعد هذه الأخيرة عن مالي مسافة 24 يوما ويصف ابن بطوطة الطريق بين ولاتة ومالي، إذ يقول:» في تلك الطريق أشجار كثيرة، وأشجارها عادية ضخمة، تستظل القافلة بظل الشجرة منها، وبعضها لا أغصان لها ولا أوراق ولكن ظل جسدها... يستظل

به الإنسان، وبعض تلك الأشجار قد استأنس داخلها و استنقع فيه ماء المطر، فكأنها بئر، ويشرب الناس منها، ويقول...وفي أشجار هذه الغابة، ما يشبه ثمر الأجاص والتفاح والخوخ والمشمش،... وفيها أشجار تثمر شبه الفقوس، فإذا طاب أنفلق عن شئ يشبه الدقيق فيطبخونه ويأكلونه ويباع بالأسواق...»[81].

وهناك طريق مراكش – تافيلات- تنبكت ، تخرج القوافل التجارية من المغرب عبر مراكش وتافيلات عدد الجمال فيها يصل في بعض الأحيان إلى 10.000 جمل في الرحلة الواحدة، وهناك تقارير عديدة كتبها قناصلة أوربا في مراكش عن مشاهدتهم لقوافل يصل فيها عدد الجمال المحملة بالبضائع إلى أكثر من هذا العدد[82].

5.1.2 – طريق تلمسان – غرداية – توات – تنبكت: من تلمسان ونواحيها تأتي القوافل التجارية وتجتمع في غرداية، ومنه تنطلق القوافل إلى توات [83] ومن توات إلى تنبكت مخترقة أراضي قبائل التوارق(الطوارق)، بعد أن تدفع إتاوة مالية لمشايخ هذه القبائل نظير المرور بأراضيهم تعرف باسم (حق الطريق) وتستمر القافلة في سيرها المرحلي والطويل قرابة الشهر والنصف (45) يوما، تقطع خلال هذه المدة ما يقرب من 1300كيلومتر، بمعدل 45 كيلومتر في اليوم حتى تصل إلى مدينة تنبكت. وتمر القافلة المتجهة نحو مدينة تنبكت بمنطقة المبروك، وأروان، وكان هذا الطريق هو أكثر الطرق أمانا، ولذلك كانت قوافل الإقليم التواتي تسلكه عند سيرها نحو تنبكت مرورا بتاوديني[84] هذا الطريق من أقدم الطرق الذي تسلكه القوافل التجارية وأصبح له شأن كبير خاصة بعد حج منسى موسى الذي انطلق من مدينة تنبكت[85]، إذ كانت تخرج قافلتان كبيرتان تتجهان إلى أسواق تنبكت الأولى في النصف الأول من السنة، والثانية في النصف الثاني من نفس السنة وفي كل عام وفي الغالب تمكث القافلة هناك حوالي ثلاثة(3) أشهر تستبدل أثناءها سلعها التي جلبتها معها من أسواق الشمال بالسلع المعروضة في أسواق تنبكت، وتعود القافلة سالكة نفس طريق الذهاب وتدخل الإقليم التواتي من إحدى نقطه الثلاث(مدنين – قبلي- عين صالح). وتدفع الرسوم الجمركية على ما تحمله من سلع الجنوب النادرة[86].

5.1.3- طريق تكرت و ورقلة إلى غاو: هذا الطريق ينطلق من المؤانى الجزائرية الهامة في الشمال مثل جزائر بني مزغنة وسكيكدة[87] وعنابة، ومستغانم وغيرها، ويتصل بالمدن الكبيرة مثل: تلمسان وقسنطينة ومدن الجريد بالجنوب التونسي وبوادي ريغ وسوف وغيرها[88]، وقد أورد المؤرخ عبدالرحمن بن خلدون هذا الطريق وقدر المسافة بين تكرت و(واركلا) ورقلة بـ 70مرحلة[89]،أي نحو(262)كلم تقريبا، وابن خلدون زار بسكرة سنة 754هـ/1353م،في أيام أبي عنان إذ يقول:»... لقيت رسول صاحب تكرت عند يوسف بن مزني أمير بسكرة يقول ابن خلدون، اخبرني عن استبحار هذا المصرفي العمارة، ومرور السابلة وقال (صاحب تكرت لابن خلدون) اجتازينا هذا العام سفر من تجار المشرق إلى بلد مالي كانت ركابهم اثني عشر ألف راحلة، يقول(ابن خلدون) وذكر لي غيره أن ذلك هو الشأن في كل سنة.»[90].

4.1.5. طريق طرابلس – غدامس – عين صالح- توات – تنبكت: كان اتصال طرابلس الغرب بعاصمة الصحراء الكبرى تنبكت وبقية مناطق غرب إفريقيا يتم عن طريق واحة غدامس بشكل خاص، حيث كانت القوافل التجارية تتخذ طريقها انطلاقا من طرابلس ثم غدامس ومنها إلى عين صالح، وتوات بالجنوب الجزائري ثم تنبكت، وهناك نوعان من القوافل الأولى تتكون من 100 الى150 جملا وهي القوافل الصغيرة أما القوافل الكبيرة، فيتعدى عدد الجمال فيها ليصل إلى 2.000 جمل، وقد تصل إلى ضعف هذا العدد في الرحلة الواحدة[91]. كل هذه القوافل تصل إلى تنبكت في الفترة بين شهري ديسمبر ويناير من كل عام وتغادرها بين شهري جويلية وأوت من نفس العام وهي فترة اختارها تجار القوافل بدقة حيث تقل درجة الحرارة نهارا[92].

ويقدر الرحالة الأوربي الفرنسي فليكس ديبوا، عدد الجمال التي تصل تنبكت من مختلف الجهات كل عام يصل عددها ما بين 50 إلى 60 ألف جمل، وقد انخفض هذا في الفترة الاستعمارية 'الاحتلال الفرنسي' للمنطقة ليصل عددها 14.000 جمل فقط [93].

تنبكت لعبت دور الوساطة بين العالم العربي والبربري (المغرب والجزائر، وتوتس) والسوداني فالمغرب كان أكبر المتعاملين مع تنبكت لقربه من السودان . وتافيلات وفاس هي نقاط انطلاق القوافل التجارية. وتأتي الجزائر في المرتبة الثانية غير أنها لا تتعامل مباشرة معها بل يتم التعامل من خلال توات. وبالمثل تونس وطرابلس مع تنبكت عن طريق غدامس[94]هذه القوافل تأتي محملة بالتبغ والبضائع الأوربية، والمغربية[95].

5.2. المسالك النهرية: نهر النيجر ربط مدينة تنبكت بالمركزين التجاريين والإداريين جني على بعد 250ميلا أي ما يقارب(400كلم) تقريبا،وغاو تقريبا على نفس المسافة في اتجاه مجرى النهر واستخدمت مئات القوارب منذ القرن 7هـ/13م[96] وهذا عند فيضان النهر خلال أشهر جويلية وأوت، وسبتمبر.

تجار تنبكت يجلبون بضائعهم في مراكب صغيرة ضيقة جدا مصنوعة من نصف جذع شجرة مجوفة و يحذفون طيلة النهار ويربطون مراكبهم في الماء وينامون على الأرض[97]، ثم استخدموا القوارب لنقل وجلب السلع باتجاه أرض الجنوب عبر النهر وهذا بعد استجلابها بواسطة الإبل من الشمال الإفريقي[98]. نهر النيجر أسس كطريق تجاري رائعا فعلى مياهه نقلت بضائع كثيرة[99]، وكانت هناك زوارق كبيرة التي سبق وأن أشرنا لها تستطيع حمل ونقل ستة(6) أطنان من السلع، وعدد كبير من المسافرين[100]. وكانت بعض قوارب الكنو تحمل مابين 10أطنان إلى30 طنا من البضائع [101] وهناك دليل يبرهن أهمية نهر النيجر في النقل البحري مدينة باماكو كانت تصدر الذهب،والكولا المتواجدة بأعالي النيجر ولا سيما الحبوب، ومنتجات أخرى الأكثر استعمالا إذ أن هذه العلاقات بين المدينتين سهلها نهر النيجر[102].

6. المبادلات التجارية:

1ـ6ـ الواردات: جلب إلى مدينة تنبكت أنواع متعددة من السلع منها:

1ـ1ـ6ـ الملح : في القرن 6هـ/12م كان الملح يستخرج من منطقة أوليل التي تقع على مقربة من الساحل وبها المملحة المشهورة، ولا يعلم في بلاد السودان مملحة غيرها ومنها يحمل الملح إلى جميع بلاد السودان[103].

وفي القرن 10هـ/ 16م كان الملح يضاهي قيمة البترول في الوقت الحالي العالم المعاصر. والملح كان قاعدة لكل تجار الرحالة الصحراويين، فكانت حجارة ملح الصحراء أكثر بحثا وشهرة.

وفي نفس القرن أنشئت ثلاث ممالح أساسية هي: أوليل و تيغازا، وأيضا تاوديني . وقد درس موني هذه الكمائن الثلاث بالتفصيل.

ـ مملحة تيغازا: تقع في قلب الصحراء تبعد عن تنبكت بحوالي ٨٠٠كلم[106]، وقدر الحسن الوزان بعدها عن تنبكت بمسيرة ٢٠يوما والتي أقام بها ٣أيام، يستخرج الملح من حفر تحيط بها أكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاستخراج هذا الملح وليسوا من سكان البلدة بل هم من أصل أجنبي يأتون مع القوافل، ويقيمون بها كمنجمين يستخرجون الملح و يحتفظون به حتى تأتي قافلة فتشتريه منهم ومن هناك يحمل إلى تنبكت التي يعوزها كثيرا[107].

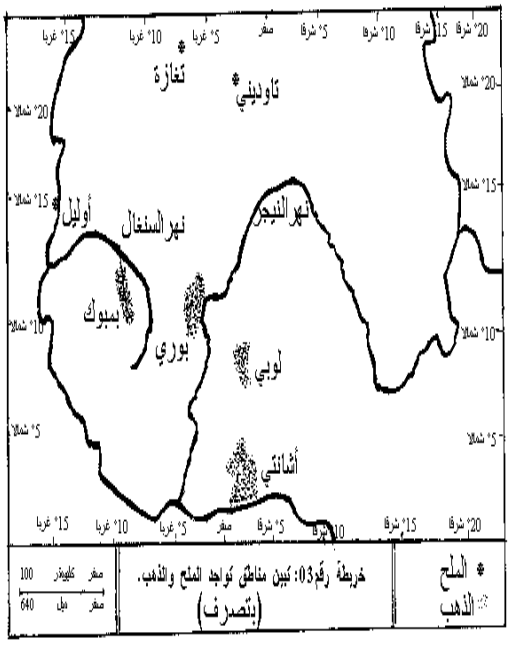

هوبكنز(أ - ج)،المرجع السابق،ص88.

ـ مملحة تاوديني: تقع جنوب تغازا[108]، وشمال غرب مدينة تنبكت، وتبعد بحوالي ٣أسابع من السير.(انظر الخريطة).

الملح ينقل بواسطة قوافل الجمال المسماة عزالي[109]، وقبائل البرابيش احتكرت نقله.وكان الجمل يحمل عموما أربعة(4)ألواح من الملح لوحان لكل جانب ويزن كل لوح من 20 إلى 30 كلغ وطول اللوح حوالي 1.20م، وعرضه حوالي0.6م[110].

أما سعر الملح فكان يختلف باختلاف المكان الذي يباع فيه، فهو رخيص في تغازا وكلما بعد أرتفع ثمنه حتى يصبح الحمل بأربعين(40) مثقالا من الذهب في مالي[111]، وكان حمل الملح يباع في ولاتة من 8 الى10 مثاقيل[112]، وفي الفترة التي كان الحسن الوزان في تنبكت كان سعر حمل الملح بثمانين(80) دينارا[113].

وفي القرن 11هـ/17م أصبح ثمن الملح في تنبكت يساوي ثلاثة(3) مثاقيل وهذا ما أورده محمد بن عب في رسالة بعث بها إلى بكار بن حميد بخصوص تجارة بينهما قال:»... من عند البركة المكرم الأكرم محمد بن عب إلى البركة المكرم الأكرم بكار بن حميد ألف ألاف، سلام عليه ورحمة الله وبركاته،... وان سئلت عن خبر الملح في تنبكت بثلاثة مثاقيل ونصف...وصلى على بكار كثير السلام كذلك محمد الأمين»[114].

ملكت سنغاي ممالح تغازا في الصحراء الموريتانية حاليا[115]، في عهد أسكيا الحاج محمد الكبير[116] وكانت هذه المنطقة هي التي تذرع بها المنصور الذهبي في حملته المشهورة على سنغاي سنة1591م.

ومنه كان الملح يشكل أكثر من نصف أحمال القوافل الشمالية إلى بلاد السودان وكان يشترى في السودان بالذهب ويباع بمقادير مرتفعة جدا وكل ما يحمله التجار منه كان ينفذ بسرعة[117]. وكان الملح يستخدم في بناء البيوت والمساجد[118]، وفي بناء مخازن الحبوب[119] كما رأينا ذلك سابقا.

2ـ1ـ6ـ الكتب: مثلت الكتب نوعا من أنواع التجارة وكانت مناطق تصديرها الأساسية المغرب ومصر والحجاز وكانت أثمانها مرتفعة في عهد دولة سنغاي، وكانت تنبكت سوقا رائجا لها[120] ففي الفترة التي أقام الحسن الوزان بتنبكت في عهد الأسقيا الحاج محمد الكبير كان أنفق شئا في أسواقها على ذلك العهد كانت الكتب، وأغلى بضائعها كانت الكتب مما يدل على المستوى الثقافي الذي أصبحت عليه المدينة آنذاك[121] وتباع فيها الكثير من الكتب المخطوطة التي تأتي من بلاد البربر، و يجني من هذا البيع ربح يفوق كل بقية السلع[122] فأثمانها تزيد عن أثمانها في المغرب، وقد تصل الزيادة إلى الضعف ونصف الضعف تقريبا[123]، وقد بيعت نسخة القاموس بثمانين(80) مثقالا، وهذا في عهد أسكيا داوود[124].

كانت الكتب تحمل إلى تنبكت من مختلف جهات العالم الإسلامي ثم تنسخ وتباع في أسواق المدينة وكانت تلقى إقبالا منقطع النظير من الطلبة، والمنشغلين بالعلم والسلاطين والأمراء[125]. هذا يدل على قيمة الكتب وأهميتها في السودان الغربي بصفة عامة وتنبكت بصفة خاصة ووجدت فتوى لمحمود بغيغ[126] موجهة إليه من احد أبناء السودان، يقول صاحبها:»من مات، وخلف كتبا، هل يجبر ورثته على بيعها أن يكن فيهم من يصلح لطلب العلم أو لا؟ الجواب:» لا يجبرون على ذلك»[127].

يتضح من خلال هذه الفتوى، أن للكتب قيمة وأهمية عظيمة في تنبكت، وغيرها من المدن بالسودان الغربي، فهي عزيزة غالية، مطلوبة من قبل الطالبين للعلم، والمهتمين به.

1ـ6ـ 3ـ الخيل: كانت كرام الخيل تأتي إلى مدينة تنبكت من بلاد البربر وتأتي مع قافلة وبعد عشرة أو أثنى عشر يوما من وصولها تعرض أمام الملك الذي يأخذ منها العدد الذي يرغبه ويدفع ثمنها بالسعر المناسب[128]، فالحصان يساوي سعره أكثر من العبيد

كان مطلوبا من طرف الطبقة الأرستقراطية، ولم يكن ذا أهمية كبيرة، فهو ليس الحيوان الوحيد الذي يستعمل في النقل والسفر، والأحصنة العربية المستوردة من إفريقيا الشمالية كانت الأكثر طلبا[129] وتوجد هناك أحصنة سودانية ذات القامة القصيرة المسماة(البراذيين) وتستعمل خصوصا في نقل المسافرين ويستخدمها التجار في أسفارهم[13].

1.6. 4. الأحذية: تصنع في تنبكت الأحذية الحمراء مع الحرير[131]. إلا أن تنبكت تستورد نوعا من الأحذية[132] من مملكة غوبر هذه الأخيرة كان بها الذين يصنعون أحذية شبيهة بتلك التي كان يحتذيها قدامى الرومان [133]،وتعرف لدى العرب بالأخفاف جمع خف.

2.6. الصادرات:

1.2.6. الذهب: كان الذهب يستخرج في إفريقيا الغربية منذ الألفية الأولى ولكن لم يحدث توسع ملحوظ في الإنتاج إلا حوالي القرن 2هـ/8م مع تطور الاتصالات التجارية مع العالم العربي، وكان الجزء الأكبر من الناتج المحلي يتم تصد يره ووجد الذهب في أربع مناطق رئيسية في بامبوك، وفي بوري، ولوبي في السودان الغربي وفي أشانتي في الغابات[134] وفي تنبكت بودل الذهب مقابل الملح [135].(انظر الخريطة).

2.2.6. العبيد: العبيد في هذه الحقبة يشكل أداة العديد من السكان، ونميز نوعين من العبيد منهم عبيد ملك للأسكيا وهؤلاء أخضعهم اسكيا الحاج محمد عند انتصاره على سني علي وهي أربعة وعشرون(24) قبيلة وكل قبيلة مكلفة بعمل معين فمنهم من يعملون في القرى الفلاحية ومنهم من يؤدون الواجبات المنزلية وآخرون مكلفون بصناعة الأسلحة. إلا أن عبيد القرى الفلاحية يتمتعون بنوع من الحرية، فمنهم أسياد في حقولهم وأحرار في نشاطاتهم وقد يعتق العبد بحسب أمانته، أو ورعه[136].

العبيد كانوا موضع مضاربة في كل الأسواق النيجيرية الكبرى كانوا يباعون ويرسلون إلى شمال إفريقيا فالعبد هو منتوج قديم لتجارة الرحالة الصحراويين.في القرن10هـ/16م كانت تجارة العبيد مزدهرة ولسوء الحظ ليس لدينا إحصائيات ومن الممكن إعطاء رقم لهذا التعامل فالباحث موني Mouni في جدوله الجغرافي قدر ذلك بحوالي 20.000 عبد في السنة، أي مليوني عبد في القرن.

أما سعر العبيد، فالباحث مالفونت Malfante، أعطانا أرقاما لسعر العبيد في عام1447م سعر العبد الواحد يساوي 2 دينار بتوات وفي فترة حكم أسكيا داوود بلغ سعر العبد الواحد بـ 10دنانير[137]. بعد استجلابها بواسطة الإبل من الشمال الإفريقي[138]. نهر النيجر أسس كطريقا تجاريا رائعا فعلى مياهه نقلت بضائع كثيرة[139] وكانت هناك زوارق كبيرة تستطيع حمل، ونقل ستة(6) أطنان من السلع وعدد كبير من المسافرين[14]. وكانت بعض قوارب الكنو تحمل مابين 10أطنان إلى 30 طنا من البضائع [141]، وهناك

دليل يبرهن أهمية نهر النيجر في النقل النهري مدينة باماكو كانت تصدر الذهب، والكولا المتواجدة بأعالي النيجر ولاسيما الحبوب و منتوجات أخرى الأكثر استعمالا إلى تنبكت، إذ أن هذه العلاقات بين المدينتين سهلها نهر النيجر[142].

7ـ نظم التعامل التجاري:

1ـ7ـ المقايضة: كانت المقايضة هي إحدى الوسائل التي تعامل بها تجار السودان الغربي مع تجار الشمال الإفريقي منذ القديم، وهي تعتمد على الاتفاق بين الطرفين فيما يعرضونه من السلع فالتاجر السوداني يعرض الذهب كسلعة رئيسية، إلى جانب بعض السلع الأخرى مثل: الريش، والتوابل. ويعرض التاجر الوافد الملح إلى جانب المنسوجات وكل واحد يضع تجارته و يختفي عنها إلى أن يتفقوا ويسمى هذا النوع من التجارة بالتجارة الصامتة[143]. ونتيجة لكثرة الذهب في تنبكت استخدم في المعاملات التجارية ليس لضرب العملة[144] وإنما كان أهلها يقايضون التبر بالملح مع تجار القوافل من الشمال الإفريقي[145] لم تقتصر المبادلة على هاتين المادتين فقد بدل الملح مقابل البذور[146].

2ـ7- الودع: استخدم الودع في الأسواق الرئيسية في النيجر الأوسط منذ القرن5هـ/11م وغربا في موريتانيا قبل القرن9هـ/15م وشرقا بلاد الهوسا في القرن 12هـ/18م، وفي برنو في النصف الثاني من القرن 19م[147]. كان التجار يحضرونه بكميات كبيرة من الأندلس والمغرب الأقصى[148]، وبلاد فارس[149] ومع مرور الزمن اندمج مع الودع الذي كان التجار الأوربيون يستوردونه عن طريق البحر منذ القرن10هـ/ 16م، وكان الودع هو العملة الأكثر انتشارا في إفريقيا الغربية[150].

أما في مدينة تنكت فكان التجار يتعاملون به كثيرا[151]،أورد الرحالة الحسن الوزان أن الودع كان يستعمل لشراء الأشياء البسيطة[152]، وقد أفاد كعت أن المثقال من الذهب في تنبكت كان يصرف بثلاثة آلاف ودعة في القرن 10ه/16م عندما وقعت تنبكت تحت حكم باشوات مراكش كما أفاد أن عشر ثمرات بخمسة ودعات[153].

خاتمة

ـ أفرزت الدراسة إلى وجود العديد من المحاصيل الزراعية منها الحبوب، والخضروات هذه المحاصيل كانت تسقى بمياه النيجر،وهي لا تكفي لسد حاجيات السكان لذا يلجأ سكانها إلى استراد بعض المحاصيل من المناطق المجاورة لها.

ـ بينت الدراسة وجود و انتشار عدد من محلات الصناع والحرفيين، فهناك محلات مخصصة للخياطين وأخرى للنساج. وهناك محلات مخصصة للذين يشتغلون بصناعة الأحذية وترقيعها وكذا يصنعون أغماد السيوف...الخ. والحدادين الذين يصنعون العتاد الفلاحي مثل: المحاريث ويصنعون الأدوات المنزلية مثل:المكانس والصناديق...الخ.

ـ عرفت المدينة صناعة مختلف أنواع السفن الصغيرة والكبيرة فمنها المخصصة لنقل

وجمع المحاصيل الزراعية، وأخرى مخصصة للحروب والتوسعات، والبعض الأخر لنقل المسافرين فالسفن الكبيرة تصل حمولتها مابين 6 إلى 10 أطنان وهناك من تصل حمولتها إلى 30 طن وهذه حمولات كبيرة في ذلك الزمن.

- أثبتت الدراسة أن المدينة كانت عبارة عن سوق كبير، وهذا بعد أن حلت محل بيرو تجار بيرو تحولوا إلى مدينة تنبكت الوليدة وهذا منذ قيامها وواصلت المدينة تألقها التجاري وزادت حركتها التجارية في القرن 10هـ/16م،حينما خضعت التجارة لعدة قوانين وتنظيمات كان قد أقرها حكام سنغاي على عهد الأسقيين، وخاصة في عهد الأسكيا الحاج محمد الكبير، والذي نظم الأسواق ووضع المفتشين دون تدخل السلطة في المعاملات التجارية. وزاد النشاط التجاري في عهد ابنه الأسكيا داوود الذي عرف عهده بعهد القافلة.

- بينت الدراسة وجود عدد من التجار الأجانب، والسماسرة هؤلاء هم كثيرون فمنهم النساء والأطفال، السماسرة يلعبون دور الوساطة بين أصحاب المحلات والعقارات، والراغبين في الكراء، وهناك التجار المتجولون الذين يتنقلون بسلعهم من حومة إلى أخرى.

- أفادت الدراسة إلى أن هناك ضرائب مفروضة على مختلف السلع الداخلة إلى المدينة إلا أنها اختلف قيمتها، فالضرائب الآتية من شمال الصحراء كانت تدفع ضريبة قدرها 4%على كل سلعة لها قيمة، أما السلع القادمة من الجنوب فتدفع عليها 2%.

- مدينة تنبكت كانت تفتقر كثيرا للملح الذي كان يأتي به تجار الشمال، وكان يباع في أسواق تنبكت بأسعار مرتفعة جدا وفي أغلب الأحيان يبدل بالذهب الذي يأتي إليها من بامبوك و بوري ونتيجة لوفرته بودل بالملح المجلوب من ممالح تغازا وتاوديني، وأوليل.

- بينت الدراسة أن هناك سلعة جلبت إلى مدينة تنبكت، وقيمتها تضاهي أو تفوق قيمة وأسعار الملح أنها الكتب التي جلبت إليها من الشمال الإفريقي. فأهالي كانوا يتسابقون ويتنافسون على اقتنائها وهذا يدل على حب أهل تنبكت للكتب.

- أثبتت الدراسة أن مدينة تنبكت على اتصال بدول الشمال الإفريقي هذا الاتصال سهلته مختلف المسالك والدروب التي ربطتها بمراكز تجارية في دول الشمال مثل تلمسان وطرابلس، وفاس. هذه الدروب كانت تسير بها القوافل التجارية والمحملة بمختلف السلع. وهناك طريق نهري ربط مدينة تنبكت بالمراكز السودانية الأخرى جني، وغاو...الخ.

- بينت الدراسة أن تجار تنبكت كانوا يتعاملون بنظامين تجاريين هما: نظام المقايضة أي تبديل سلعة بأخرى.ونظام البيع والشراء باستخدام الودع كعملة تجارية.

من خلال دراسة الأوضاع الاقتصادية لمدينة تنبكت، عرفنا أن المدينة كانت مزدهرة ومتطورة واعتبرت مصدرا للثروات، وهمزة وصل بين دول شمال الصحراء، وجنوبها

وربطتها علاقات تجارية ببعض الدول الأوربية والمغربية ، فالتجار جاؤوها حاملين بضائع لبيعها.

من هذه الدراسة يتبين أن مدينة تنبكت عرفت تطورا كبيرا في الجانب الاقتصادي منذ نشأتها لكن هذا التطور برز بشكل كبير وأكثر وضوحا في عهد حكم سلاطين إمبراطورية سنغاي على عهد الأسقيين، وخاصة في فترة حكم الأسقيا الحاج محمد الكبير وابنه داوود بن الحاج.

الهوامش

(1) Sekené Mody Cissoko,**Tombouctou et L'Empire Songhay**, Nouvelles éditions,africaines Dakar .Abijan. 1975.p.125.

(2) Hacquard,(A), **Monographie de Tombouctou**,Société des études coloniales & maritimes, paris,1900.p13.

(3) Sekené,(M-C),Ibid.p.125.

(4) Hacquard,(A),Ibid.pp.14-16.

(5) الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، 1999، ص 267 وما بعدها.

(6) كابارا: مدينة كبيرة لها مظهر قرية دون جدار سور، وتبعد مسافة12ميلا ،أي ما يقارب(19كلم) تقريبا، عن تنبكت على نهرالنيجر. الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، راجعه علي عبد الواحد ، المملكة العربية السعودية ،دون تاريخ ، ص542.

(7) سينكي مودي سيسوكو ، الصنغي من القرن12م إلى القرن 16م،تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو1988، المجلد4،ص206.

(8) محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تحقيق هوداس و دولافوس، باريس ،1964، ص56.

(9) سينكي مودي سيوكو،المرجع السابق، ص207.

(10) مارمول كربخال ، إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد زبير وآخرون ، 3اجزاء ، دار

نشر المعرفة ،الرباط 1989 الجزء3، ص202

(11) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص540.

(12) الإمام أحمد بن الإمام صديق، هو أخر أئمة الجامع الكبير- جنكربير- في عهد سنغاي . ينظر:عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن ناصر السعدي، تاريخ السودان، تحقيق هوداس و بنوة، باريس،1964، ص62.

(13) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 271.

(14) Hacquar,(A),op.cit.p.22.

(15) John Marriner , **Sailing to Timbuctoo** , William kimber, London ,1973. p.26.

(16) Hacquard,(A),Ibid.p23.

(17) Janes,(G-J),Ibid.p.26.

(18) Ibid,p.25.

(19) Janes,(G-J).Ibid.p.15.

(20) Ibid.p.15.

(21) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 293.

(22) Hacquard,(A),op.cit.p.23.

(23) Dubois Felix**, Tombouctou la Mystérieuse** , la Brnieie Elammarion, paris , 1897p293.

(24) هوبكنز،(أ – ج)،التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، ترجمة، أحمد بلبع، جامعة القاهرة،1998 ،ص117.

(25) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص542

(26) محمود كعت، المصدر السابق، ص180.

(27) Sekené,(M-C), op.cit.p.131.

(28) محمود كعت، نفسه ، ص180.ينظر أيضا، هوبكنز،المرجع السابق،ص 95.

(29) محمد بان أسكيا هو أخو بلمع الصادق، أبوهما أسكيا داوود هذين الأخوين دخلا في صراع، سبب فساد ملكهم و قطع سلك نظام دولتهم إلى إن نزلت محلة أهل مراكش-

الغزو المغربي. محمود كعت، المصدر السابق ، ص 126.

(30) محمود كعت، نفسه، ص 131 . ينظر أيضا: الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق،ص 292.

(31) Sekené.Ibid,p.132

(32) Hacquard,(A),op.cit.p.41.

(33) هوبكنز(أ – ج)،المرجع السابق،ص96.

(34) Sekené,(M-C),Ibid.p.132.

(35) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 291.

(26) Sekené,(M-C),op.cit.p.132.

(37) الهادي المبروك الدالي، نفسه،ص 290.

(38) Sekené,(M-C),Ibid.p.132.

(39)Hacquard,(A),op.cit.p.41.

(40) Oskar Lanz,**Timbouctou voyage au Maroc au Sahara et au Soudan**,paris,1887.p.155.

(41) محمود كعت، المصدر السابق، ص 57 وما بعدها.

(42) Sekené,(M-C).Ibid.p.40.

(43) Delafosse,(M),**Haute Sénégal Niger**, paris, tome 2 , 1972,p.163.

(44) مولاي أحمد بابير الارواني السعادة الابدية في العريف بعلماء تنبكت البهية، تحقيق الهادي المبروك الدالي ، الطبعة الأولى ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، بنغازي، 2001، ص 77.

(45) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 540. ينظر أيضا: مارمول، المصدر السابق، ص202

(46) محمود كعت، المصدر السابق،ص 47 وما بعدها.

(47) هوبكنز(أ – ج)،المرجع السابق، ص144. والكنو زوارق طويلة مدببة الطرفين تنقاد بمجداف. نفسه، ص144.

(48) عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق،ص76.

(49) محمود كعت، المصدر السابق، ص 95 وما بعدها.

(50) عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 140 وما بعدها.

(51) Trimingham,(S),**History of Islam in west Africa** , , oxford university press, ,n.d.p.13.

(52) Jahn,(M),op.cit.p.174.Boubou,(H),op.cit.p.353.

(53)Sekené,(M-C),Tombouctou et l'empire songhay.p.136.

(54) John,(M),Ibid.p.174.

(55) Jean Suret Canale,**Afrique Noire Occidentale et Centrale**, éditions sociales,paris,n.d. p181.

(56) Cornevin,(R et M), **Histoire de l'Afrique des origines à la deuxième guerre mondiale,** paris,1964,p.556.

(57) Canale,(J-S),op.cit.p.181.

(58) الحسن الوزان، المصدر السابق،ص 539 وما بعدها.

(59) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 87.

(60) Sekené,(M-C),. Ibid .p.35.

(61) Faidherb,(L)**,** e,**Le sénégal la France dans L'Afrique occidentale,**libraieie hachette et c^{ie}.paris,1889.p.350

(62) عبدالرحمن السعدي،المصدر السابق، ص . 21

(63) Sekené,(M-C),. Ibid .p.138.

(64) Ibid .p.138..

(65) أبن عبدالله بن عبدالله اللواتي ، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت1954ا ، ص689.

(66) نفسه، ص 690.

(67) Sekené.(M-C).Ibid,p.138.

(67) منشأ الديولا الماندينغ(الماندي) وكانت لهم أهمية خاصة في الجزء الغربي من إفريقيا الغربية، برغم أنهم كانوا يتاجرون في الجنوب الشرقي إلى مسافات بعيدة تصل

إلى غابات ساحل العاج، يبيعون الأقمشة،والماشية،ويشترون جوزة الكولا،والرقيق. هوبكنز،المرجع السابق ص 121.

(69) Sekené,(M-C),op.cit,p.139.

(70) Ibid,p.139.

(71) Sekené,(M-C), Ibid. p.142

(72) علي عبد اللطيف، تمبكتو أسطورة التاريخ، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية بنغازي،2001، ص39.

(73) Sekené,op.cit.p.146

(74) Dubois,(F),op.cit.p.300.

(57) Ibid,p.p 297-303.

(76) sekenè,(M-C), Ibid..p146.

(77) Janes,(G-J),op.cit.p.15.

(78) Sekené,(M-C),. Ibid .p.141

(79) Janes,(G-J), Ibid.p24.

(80) Dubois,(F), Ibid.p.134.

(81) Janes,(G-J) Ibid,.p.2

(82) Sekenè,(M-C), Ibid.p.141

(73)عبد القادرزبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1989.،ص 29.

(74) Sékéné (M,C) **,»La vocation culturelle de Tombouctou à l'unité du monde Africain»,** in Revue Le Culture Africaine,21juillét-1 août.1969.,p.220.

(75) تغاز أو (تغازا) أو (تغازة) تقع جنوب المغرب الأقصى. الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 308.

(76) Levitrion Nehima,**Muslims and chiefs west Africa** ,Oxford,1968,p5.

(77) أبو عبد الله بن عبدالعزيز البكري،المغرب في بلاد إفريقية والمغرب،مقتبس من كتابه،المسالك والممالك،مكتبة أمريكا والشرق ميزون نوف باريس،1965، ص147.

(78) أبو القاسم النصيبي ابن حوقل، صورة الأرض،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ، ص90.

(79) زاغري: قرية كبيرة تقع بين ولاتة وتنبكت، يسكنها التجار السودان،... ومعهم جماعة من البيضان. ابن بطوطة،المصدر السابق ص680.

(80) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 674 وما بعدها.

(81) نفسه، ص 676 وما بعدها.

(82) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص29.

(83) سليمان داود بن يوسف،" انتشار الحضارة الإسلامية وإفريقيا السوداء "، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية الجزائر تمنغرست،30اوت8سبتمبر 1979، الجزء الثاني، ص128.

(84) فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنيين 19-18م، ديوان المطبوعات الجامعية،2007 ، ص91 .

(85) Cornevin,(R et M),op.cit.p.556.

(86) فرج محمود فرج، نفسه ، ص92

(87) عبدالقادرزبادية، المرجع السابق، ص29.

(88) سليمان داود بن يوسف، مجلة الأصالة، ص 128.

(89) عبدالرحمن بن خلدون، المصدر السابق،الجزء 6، ص269.

المرحلة تساوي 3.75كلم.عمار بن خروف،العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين المغرب والجزائر في القرن 10هـ/16م،الجزء الثاني،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،2008م، ص 68.

(90) عبدالرحمن بن خلدون، نفسه،الجزء6،ص69.

(91) علي محمد عبداللطيف، المرجع السابق، ص 29.

(92) نفسه، ص30.

(93)Dubois,(F),op.cit.p.290.

(94) Dubois,(F),op.cit.pp.281-282.

(95) Caillie,(R),op.cit.p309.

(96) هوبكنز،(أ – ج)،المرجع السابق،ص 144.

(97) الحسن الوزان،المصدر السابق،ص538، ومارمول،المصدر السابق،ص203.

(98) Sekenè,(M-C), Ibid,p.144.

(99) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق،ص324.

(100) Sekenè,(M-C), Ibid.p144.

(101) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص108.

(102) Dubois,(F),op.cit.p.57.

(103) أبي عبد اللّه محمد عبد اللّه بن إدريس الحمودي الحسيني الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،المجلد ا،مكتبة الثقافة الدينية، دت، ص25.

(104) Sekenè,(M-C), op.cit,p.144

(105) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص324.

(106) Sekenè,(M-C), Ibid.p.144.

(107) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص108.

(108) Faidherbe,(L),op.cit.p.353

(109) عزالي كلمة تعني في اللغة العربية مصب الماء،يقال:أرسلت السماء عزاليها إذا جاءت بمطر منهمر. الفراهيدي احمد،كتاب العين،تحقيق عبدالحميد هنداوي،4مجلدات،الطبعة2003،1، دارالكتب العامية،بيروت،المجلد3، ص147.

(110) Sekené,(M-C),Ibid.144.

(111) شعباني نورالدين، علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وأثارها الحضارية بين القرني(9-4)هـ(15-10)م، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية2005م2006م ، ص197.

(112) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص678.

(113) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص540.

(114) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص329.

(115) عبدالقادرزبادية، المرجع السابق، ص36.

(116) Fage,(J),op.cit.p.27.

(117) عبدالقادر زبادية، المرجع السابق، ص36.

(118) Dubois,(F),op.cit.p.284.

(119) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص293.

(120) نفسه،ص 329 وما بعدها.

(121) عبدالقادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1591-1493)م،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر دون تاريخ ص102.

(122) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص541.

(123) عبدالقادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، ص 36.

(124) محمود كعت، المصدر السابق، ص109.

(125) حسن أحمد محمود،» دور العرب في نشر الحضارة في غرب إفريقية»، المجلة التاريخية المصرية،1968، العدد الرابع عشر، ص86.

(126) محمود بغيغ : إمام في مسجد سيدي يحيى، وعرف بحبه للكتب، وسعيه في تحصيلها شراء و نسخا،وكان يعيرها دون معرفته من هو المعير...يقول أحمد بابا انه ذهب إليه ذات مرة لطلب كتب منه،يقول أحمد بابا، راح وفتش في داره، فأعطاه كل ما ظفر به منها، وكان له صبر عظيم على التعليم آناء النهار،...أستوطن في تنبكت وأخذ عن ابن سعيد الفقه، والحديث وقرأ عليه المدونة، والمختصر، وغيرهما وتوفي رحمه اللّه عام1002هـ/1593م، وكان مولده سنة930هـ/1524م.أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج،تحقيق علي عمر، جزءان، الطبعة الأولى مكتبة الثقافة الدينية،2004،المجلد الثاني،ص294 وما بعدها.

(127) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق،ص 330 .

(128) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص541. و مارمول،المصدر السابق،ص203.

(129) Sekené,(M-C),op.cit.p.146.

(130) الحسن الوزان، المصدر السابق،ص541، و مارمول، المصدر السابق،ص203.ينظر

أيضا:Ibid,p.146.

(131) Dubois,op.cit.p.298.

(132) يرى هنري الهوتH.Elhote,واحد من محققي كتاب 'وصف إفريقيا' للوزان. الأحذية التي تستوردها تنبكت من مملكة عوبر، هي نوع من نعل،أو كلاش،وتسمى طوارقي، وتدعى بالعربية نعل، وصناعته من اختصاص الهوسا،ولا تزال مدينة ماداوا الواقعة في منطقة غوبر ذات شهرة بصنع هذه النعال،الحسن الوزان، المصدر السابق،ص542.

(133) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص542.

(134)هوبكنز،(أ – ج)،المرجع السابق،ص 89 وما بعدها.

(135) Sekené,(M-C),Ibid.p.144.

(136) Ibid ,pp.167-170

(137) Ibid,p.146.

(138) علي محمد عبداللطيف، المرجع السابق،ص30.

(139) Dubois,(F),op.cit.p.134.

(140) Sekené,(M-C),Tomboucou et l'empire Songhay,p.136

(141) هوبكنز(أ – ب)،المرجع السابق،ص144.

(142) Dubois,(F),Ibid.p.57.

(143) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص339.

(144) Oskar,(L),op.cit.p.155.

(145) علي محمد عبداللطيف،المرجع السابق،ص 110.

(146) Sekené,(M-C),op.cit.p.142.

(147) هوبكنز،(أ – ب)، المرجع السابق، ص134.

(148) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 340.

(149) الحسن الوزان، المصدر السابق،ص541.

(150) هوبكنز،(أ – ب)، المرجع السابق،ص 134 وما بعدها.

(151) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 340.

(152) الحسن الوزان، المصدر الساق،ص541.

(153) محمود كعت، المصدر السابق، ص183.